الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم : (العلوم الإنسانية، العلوم الاجتماعية)
المقياس: فلسفة التاريخ
المحاضرة الأولى: مفهوم فلسفة التاريخ ومجالات تطبيقاتها

الموسم الجامعي:2023/2022
المستوى: (ثانية تاريخ،ثانية فلسفة)
الأستاذ: عبد الله زين
(أستاذ محاضر ب)

تمهيد:

كما للمكان أبعاد ثلاثة هي: الطول والعرض والارتفاع، فإن للزمان أبعاده كذلك وهي: الماضي والحاضر والمستقبل، وبالنظر لأهمية الماضي في صنع الحاضر والمستقبل، فقد حظي ماضي الأمم والشعوب بالاهتمام من طرف الكثير من الباحثين والدارسين والمؤرخين على وجه التحديد ضمن إطار ما يعرف بعلم التاريخ، فما المقصود بالتاريخ ؟ و ما هو علم التاريخ ؟ وما موضوعه ؟

-تعريف التاريخ :

تدل كلمة التاريخ أو التأريخ في اللغة العربية على الإعلام بالوقت، مضافا إليه ما وقع في ذلك الوقت من أخبار ووقائع . يقال: أرّخت الكتاب ؛ أي بيّنت وقت كتابته . والتاريخ بهذا المعنى اللغوي قديم ، فقد قال الجوهري*[1] (ت 393هـ/1003 م) : **" التاريخ تعريف الوقت، والتوريخ مثله، يقال: أرّخت و ورّخت " .**

أما في الاصطلاح فلفظ التاريخ يطلق على " ما تعاقب على الشيء من الأحوال المختلفة، سواء أكان ذلك الشيء ماديا أم معنويا "، فنقول تاريخ الأندلس وتاريخ العلوم وتاريخ الفنون وغيرها .

تجدر الإشارة إلى أن أصل كلمة تاريخ (History) يرجع إلى لفظ (Istoria) اليوناني، والذي يعني الأشياء الجديرة بالمعرفة كالبلاد والعادات والمؤسسات السياسية ، وبعدها أصبح يعبّر عن معرفة الأحداث التي رافقت نمو الحركة الفكرية والسياسية عند الإغريق

-تعريف علم التاريخ :

شهد تاريخ الحضارة العربية الإسلامية وجود الكثير ممن اهتموا بالتاريخ، ومن هؤلاء العلاّمة عبد الرحمان بن خلدون (732-808 هـ/ 1332-1406م) الذي وصف حقيقة التاريخ بقوله: **" إن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال (...) إذ و في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيه النطاق والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق " .**

يبدو أن لابن خلدون نظرة عميقة للتاريخ تختلف عن نظرة سابقيه؛ ويتضح ذلك من خلال تمييزه بين مستويين في التاريخ هما: ظاهر التاريخ و باطنه؛ فالأول يفيد أن التاريخ مجرد سرد للأحداث والوقائع، بينما الثاني يفيد أن التاريخ فرع من فروع الحكمة التي تقتضي تمحيص الأخبار وتقليبها على مختلف وجوهها، من أجل معرفة وجه الحق فيها من وجه الباطل، ومعرفة القوانين التي تحكم ظواهر

* الجوهري: هو اسماعيل ابن حماد الجوهري عالم ولغوي، يكنى بأبي نصر، أصله من فاراب " كازاخستان حاليا "، وقد أخذ العربية عن ابي سعيد السيرافي و أبي علي الفارسي، مصنف كتاب " الصحاح " .

العمران .

يعرّفه المقريزي*[2] (766-845 هـ/ 1365-1441 م) بقوله : **" إخبار عما حدث في العالم الماضي "** . كما يمكن تعريف علم التاريخ بأنه : " العلم بما تعاقب على الشيء من الأحوال المختلفة سواء أكان ذلك الشيء ماديا أو معنويا " . كما نستطيع القول بأنه : " العلم الذي يبحث في الوقائع الإنسانية الماضية " .

يبدو من خلال ما سبق أن علم التاريخ هو بحث ودراسة واستقصاء لأخبار الناس وحركتهم، والنظر في أحوالهم الماضية بغية الوقوف على القوانين التي تحكم سير تلك الأحوال .

-موضوع علم التاريخ:

يتضح من خلال تعريفات علم التاريخ أن هذا العلم يتناول الحياة الإنسانية في امتدادها الزمني على الأرض، وما يحكم هذه الحياة من عوامل وأسباب، بمعنى آخر لعلم التاريخ موضوع يتمثل في ماضي البشرية وما يتضمنه من تحولات وتبدلات .

جدير بالذكر أن التاريخ مرتبط بالتأريخ؛ والذي يعني تدوين الحوادث والوقائع، لذلك ينبغي التمييز بين مرحلتين عند الحديث عن ماضي الإنسان هما: التاريخ وما قبل التاريخ، والتاريخ يعبّر عن العصور التاريخية والتي ارتبطت بدايتها باختراع الإنسان للكتابة في بلاد ما بين النهرين على يد السومريين، الذين اخترعوا الكتابة المسمارية حوالي 3500 ق م .

-علاقة التاريخ بالفلسفة :

كانت الفلسفة اطلاعا موسوعيا يشمل جميع الميادين، وكان الفيلسوف عند الاغريق محبا للحكمة، يبتغي المعرفة لذاتها ويسعى إلى معرفة حقائق الأشياء من حوله، إلا أن الوضع تغير بمرور الزمن؛ فانفصلت عدة علوم عن الفلسفة كالرياضيات والفيزياء والبيولوجيا إضافة للعلوم الإنسانية والاجتماعية كالتاريخ وعلم الاجتماع .

اصطدم التاريخ بعد انفصاله عن الفلسفة ببعض الصعوبات والمشكلات، مما حدا بالفلسفة إلى أن تتدخل لحل تلك المشكلات، لكن تنقسم هاته المشكلات إلى شقين: شق منهجي وشق يتعلق بطبيعة التاريخ في حد ذاته . يتضح إذن وجود ارتباط وثيق بين التاريخ والفلسفة، إذ يتبادلان التأثير؛ فالتاريخ يجعل الفلسفة أكثر واقعية ويبعدها عن الخيال والتجريد، وبالمقابل تزود الفلسفة التاريخ بالنقد والتمحيص إزاء الأخبار والروايات التاريخية .

تمخض عن ارتباط التاريخ بالفلسفة فرع من الفلسفة العامة يعرف بفلسفة التاريخ، والذي يعنى بالتفلسف في قضايا التاريخ من حيث منهجه و قوانينه بغية فهم الحاضر واستشراف المستقبل .

---

* المقريزي: هو أحمد بن علي بن عبد القادر، أو العباس الحسني العبيدي تقي الدين المقريزي، مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك، من تآليفه: خطط المقريزي و السلوك في معرفة دول الملوك .

-مفهوم فلسفة التاريخ :

يرجع أول استعمال للفظ فلسفة التاريخ إلى المفكر الفرنسي " فولتير " *[3](1778-1644م)، مع أن بداياتها كانت على يد ابن خلدون، وقد قصد فولتير بهذا المصطلح دراسة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف، أي دراسة التاريخ دراسة عقلية ناقدة ترفض الخرافات وتنقح التاريخ من الأساطير و المبالغات، وهو بذلك يرفض كل رواية غير مقبولة لدى العقل أو محتملة الشك .

أما ابن خلدون فقد أشار لفلسفة التاريخ من خلال تمييزه بين ظاهر التاريخ وباطنه، وقد وصف باطن التاريخ بأنه فرع من فروع الحكمة؛ بمعنى أنه أحد فروع الفلسفة .

تجدر الإشارة إلى أن فلسفة التاريخ تقوم على مقولتي: الكلية والعلية ؛ فالأولى تعني أن فيلسوف التاريخ لا ينظر إلى الأحداث والوقائع الجزئية كالثورة التي قوم في هذا البلد أو ذاك ، بل ينظر للماضي وحوادثه نظرة شمولية، محاولا الوقوف على معرفة الأسباب العامة لحوادث الماضي ومجرياته . أما العلية؛ فتعني أن فيلسوف التاريخ يتجاوز النظرة السردية إلى تبرير الحوادث وتعليلها تعليلا عقليا منطقيا، بغية فهم منطق الحوادث التاريخية، ففلسفة التاريخ تسعى إلى جعل حوادث التاريخ مفهومة عقلا ومتحررة من سيطرة الأسطورة والخرافة .

-مجالات تطبيقات فلسفة التاريخ:

إذا كانت فلسفة التاريخ تستمد صفة الواقعية من التاريخ؛ فمعنى ذلك أن هذا الحقل المعرفي يعتبر من الفروع الفلسفية الأكثر اقترابا من الواقع ، وهو بذلك يتقاطع مع مجالات معرفية أخرى تشكل مجالات تطبق فيها فلسفة التاريخ، أبرزها: فلسفة الحضارة، الفلسفة السياسية، وعلم المستقبليات وغيرها من المجالات الأخرى .

1-فلسفة الحضارة:

تعني النظرة الفلسفية للحضارة، ومحاولة معرفة أسباب قيامها وانهيارها . لقد أصبحت الحضارة اليوم مبحثا من مباحث الدراسات التاريخية المتخصصة، حيث لم يعد التاريخ يهتم بأخبار المعارك والغزوات وسير الملوك العظماء فقط، بل يهتم بدراسة مختلف انتاجات الفكر الانساني وشتى مظاهر الحياة اليومية، ولقد بدأ المؤرخون أخيرا يجعلون من الحضارات موضوعا لدراساتهم لأن ذلك يعينهم على معرفة الأسباب المؤدية إلى قيامها والعوامل المؤثرة في تدهورها وانهيارها، وقد تحدث بعض فلاسفة التاريخ عن موضوع الحضارة مثل ابن خلدون ومالك بن نبي وكذا بعض المفكرين الغربيين مثل المؤرخ الانجليزي أرنولد توينبي وغيره من الغربيين .

2-**الفلسفة السياسية:**

تلتقي الفلسفة السياسية مع فلسفة التاريخ في صفة الواقعية، بل يعتمد الفلاسفة السياسيون على أبحاث فلاسفة التاريخ في صياغة نظرياتهم الفلسفية؛ ذلك أن السياسة تشكل مجال اهتمام من طرف المؤرخين وفلاسفة التاريخ، فنجد الكثير من الذين كتبوا في مجال الفلسفة السياسية قد استثمروا نتائج أبحاث فلاسفة التاريخ، ومن هؤلاء المفكر السياسي الإيطالي ميكيافيللي من خلال كتابه " الأمير ".

---

*فولتير هو فرانسوا ماريه أرويه(Francois Marrie Arouet) كاتب وفيلسوف فرنسي شهير، عاش في عصر التوير، عرف بدفاعه عن الحريات المدنية، خاصة حرية العقيدة والمساواة وكرامة الإنسان، من أبرز أعماله: خطابات فلسفية على الانجليز .

3-علم المستقبليات:

إذا كان هذا العلم يهتم بالبحث في المستقبل، فإنه يضطر إلى الاستعانة بفلسفة التاريخ وأبحاثها في هذا المجال؛ ذلك أن هاته الأخيرة تستطيع من خلالها دراستها للماضي أن تقف على القوانين التي تحكم سيره، ومن ثم تستطيع استشراف المستقبل . يعرف علم المستقبليات بالدراسات الاستراتيتيجة التي تستشرف المستقبل انطلاقا من معطيات الحاضر، وفي ذلك تستعين بفلسفة التاريخ .

***المراجع:**

-في فلسفة التاريخ / أحمد محمود صبحي

-التاريخ وكيف يفسرونه / اليجري ويدجري

-في فلسفة التاريخ / خاليد فؤاد طحطح

-فلسفة التاريخ : جدل البداية والنهاية والعود الدائم /علي عبود المحمداوي

-المفصل في فلسفة التاريخ / هاشم يحي الملاح

-المقدمة / عبد الرحمان بن خلدون

-فلسفة التاريخ: مدخل إلى النماذج التفسيرية للتاريخ الإنساني / عبد الحليم مهور باشه

-علم التاريخ وفلسفته في فكر ابن خلدون / جميل موسى النجار

-العقل في التاريخ / هيجل

-الأيديولوجيا الألمانية / ماركس وانجلز